

البرُّ بالطبقات الفقيرة



في القرآن دعوة سامية للقضاء على الفوارق بين الجماعات، فقد حَثَّ القرآن على الإنفاق في سبيل الله وعلى مصالح الطبقة المحتاجة، وقد رغّب القرآن في هذا الإنفاق ووعد المنفقين بحسن المثوبة والأجر العظيم في الآخرة. الإنفاق في سبيل الله: وهو يشمل كلّ ما ينفق لإعلاء كلمة الإسلام، والدفاع عنه، ونشره بين الناس، وإقامة أحكامه، وما يصل إلى مرضاة الله، وهو ما كان نفعه عاماً: كإزالة الجهل بنشر العلم، ومساعدة الضعفاء، وترقية المصنائع، وكلّ ما يرفع مستوى المسلمين من كافة النواحي. والآيات القرآنية التي دعت للإنفاق في سبيل الله كثيرة، نختار منها قوله تعالى: (مَثَلُ الْمَذْرِينَ يُذْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبَيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَزْبَدَتْ سَبْعَ سَنَابِيلَ فِي كُلِّ سُنْدُبُلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَلَيْهِمْ * الْمَذْرِينَ يُذْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبَيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَبَعُونَ مَا أَزْفَقُوا مَذْمَماً وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ) (البقرة/ 261-262). أخبرنا الله أن ما نفقه في سبيله يضاعفه لنا أضعافاً كثيرة، فهو مفيد لنا في دنيانا وآخرتنا، وقد شرط الله لهذا الثواب ترك المن والأذى، فالمن هو أن يذكر المحسن إحسانه لمن أحسن إليه ليظهر تفضيله عليه، أما الأذى فهو أشد منه لأن يذكر المحسن إحسانه لغير من أحسن إليه. ووصف القرآن الإنفاق في سبيل الله بأذنه التجاره الرابحة التي تنفع صاحبها يوم القيمة: (يَا أَيُّهَا

الْمَدِينَ آمَدُوا هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ الْعَذِيمِ
* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَرْفُوسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّ كُنْدَتُمْ تَعْلَمُونَ

(الصف/ 10-11). الإنفاق على ذوي الحاجة: يدخل الإنفاق على ذوي الحاجة تحت الإنفاق في سبيل ولكن القرآن حدد فئات من الناس هم أحوج إلى الإحسان والمؤاساة. فمن أعمال البر: الإحسان إلى هؤلاء المحتاجين التي ذكرتهم هذه الآية: (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
وَفِي الرِّقَابِ) (البقرة/ 177). المراد بإيتاء المال في الرقاب بذلك في تحرير العبيد لترد إليهم حرريتهم ويزول عنهم ذل العبودية. ووصف الله البرة في آية أخرى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتَّهِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا
نُطْعِمُكُمْ لِرَوْجِهِ اللَّهِ لَا زُرْيَدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) (الإنسان/
8-9). وجعل الله أول صفات المكذب بين بالإسلام: القسوة على اليتيم وعدم الحث على إطعام المسكين: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينَ [1] * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتَهِيمَ * وَلَا يَحْمِنُ [3] عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ) (الماعون/ 3-1). ويسأل أصحاب النار يوم القيمة عن سبب عذابهم: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ [4]) (المدثر/ 42). قالوا: (لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلَّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينَ) (المدثر/
43-44). الإنفاق من الطيبة: كان بعض المسلمين يعمد إلى التمر فيعزل الجسد ناحية حتى إذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الرديء فنزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَدُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنْ
الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبَرَيْثَ مِنْهُ تُنْدِفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنَّ
تُغْمِضُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (البقرة/ 267). ومعنى الآية: أنفقوا من حيث أموالكم ولا تقصدوا الخبيث فتجعلوه صدقتكم، ثم ونجهم الله لأنهم يقصدون الخبيث منه يتصرفون وليس يرضون بمثله لأنفسهم إلا أن يتساملوا فيه تساهل من أغ扪 عينيه فلم ير العيب فيه. وقال تعالى في هذا المعنى: (لَنْ تَنْدَالُوا الْبَرَّ حَتَّى
تُنْدِفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْدِفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلَيْهِمْ) (آل عمران/ 92). المال ملكه الله: والقرآن يوجه نظر الإنسان إلى أن المال هو ملك الله، وأن الإنسان نائب عنه في الإشراف عليه، فلا يحمل به أن يعصي ربه فيما استودعه إياه. انظر إلى هذه الآيات التي رتبناها ترتيباً منطقياً والتي قررت هذه الحقيقة: فالله مالك السماوات والأرض: (وَلِلَّهِ مُتْكِلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (آل عمران/ 189). وهو الذي يرزق جميع الناس: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (فاطر/ 3). والناس مكلفون بالإنفاق مما رزقهم الله من الأموال التي جعلهم خلفاء في التصرف فيها، فالمال ليس مالهم في الحقيقة وما هم منها إلا بمنزلة الوكلاه: (وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ) (الحديد/ 7). (وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَدْعُولَ رَبِّهِ لَا وَلَا أَخْرُجْنَاهُ إِلَّا جَلَّ فَرِيبٌ فَأَمْدَدْنَاهُ وَأَكْنَاهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) (المنافقون/ 10). (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) (النور/ 33). وعلى هذا يحمل بالبشر أن لا يتأنروا عن تنفيذ أمر الله في ماله الذي استودعهم إياه، وإذا أُمرُوا أن يؤتوا منه فئات من الناس محتاجة فعليهم أن يبادروا إلى ذلك. الإحسان قرضٌ: والقرآن حضٌ على الإحسان ورغبة فيه بأسلوب في غاية الروعة، من ذلك قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) (الحديد/ 11). فأي تلطف من الله في هذا التعبير حين يجعل الإحسان بمثابة الإقراض، وإنما يفترض المحتاج وآتى غني عن العالمين الذي له ملك السماوات والأرض ومن فيهن، وإنما جاء التعبير في هذه الصورة نيابة عن الفقراء والمحاجين ودافعاً عنهم، وما قيمة امرء يبذل بإقراض بعض المال لواهبه الذي سيرده له حتماً أضعافاً مضاعفة. ثم يختتم الله بهذه الآية بقوله: (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْدُلُ سُطُطًا) (البقرة/ 245)، فلو شاء لأغنى فقيراً وأفقر غنياً فإن الأمر كله بيده. مورد للقراء لا حد له: والإسلام جعل للقبر مورداً لا حد له عن طريق الكفارات التي فيها معنى العقوبة أو البدل أو جبر الناقص. مثال ذلك: يحل الرجل يميناً أن يفعل شيئاً أو يتركه ثم يعدل عن ذلك، فإنّه في هذه الحالة ملزم بإطعام عشرة مساكين يوماً واحداً مما جرت به العادة أن يأكله هو وأهله، أو كسوتهم أو تحرير إنسان من الرق. ويعجز الرجل عن صوم رمضان لسقم أو هرم فيفطر، فعليه مقابل ذلك أن يطعم عن كل يوم مسكيناً. ويخل الحاج بشرط من شروط الحج فيكفّر عنه بذبيحة يقدمها للمساكين. ويقبل عيد الصوم فتحب زكاة الفطر على كل مسلم، كما يجب أو يسن على القادر المستطيع ذبح ضحية في عيد الأضحى ليطعم منها الفقراء. وينذر المسلم الله نذراً فيوجب عليه الإسلام أن يفي به برأ بالفقراء وعوناً لهم. ويعجز الرجل عن تكاليف العيش لسبب اضطراري فيوجب الإسلام على قريبه الثري أن ينفق عليه: فينفق ابن على الأب، والأب على ابن، والأخ على الأخ، والزوج على الزوجة. كما أن الإسلام شرع الوقف ليصرف ريعه في وجوه البر عامة.

هذا بعض تشريع الإسلام الاقتصادي الذي غايتها التقرير والتوفيق بين الطبقات المختلفة والقضاء على الفقر. ولو أردنا الأسهاب في شرح ما جاء في القرآن والسنة لضيق بنا هذا البحث ولكن أحببنا أن

نعطي صورة لبعض أصول القرآن الرئيسية التي تشهد بعظمته وسموّه مصدره الإلهي وصلاح هذه الأصول لكل زمانٍ ومكانٍ .

الهوا مش:

[1] - الدين: قيل معناه الإسلام، وقيل: الجزاء والحساب في الآخرة. [2] - يدع: يدفعه عن حقه وماله بالظلم، ويزجره ويضربه. [3] - يحزن: يبحث.

[4] - سقر: جهنم.

المصدر: كتاب روح الدين الإسلامي